بقلم الاب لامنس اليسوعي

لاحظ

الكثيرون ان الانكليز لا يكترثون غالباً اكتراثاً شديداً لما يحدث عند سائر الاوربيين . ولهم عذرهم في ذلك ، لان انكلترة جزيرة منفصلة عن مناطق اوربة . اما نحن فلا يمكننا التشبث بعذر الانكليز ، لان بلادنا تشبه جسراً يصل بين القارات الثلاث في العالم القديم ، لانها ممرّ طبيعي يضطر جميع جيراننا الى السير عليه ، بل هي طريق مبتة كما ابان ذلك السيد ميشال شيحا ، في محاضرته النفيسة التي تكلمنا عنها في الشهر الماضي[1] . وعليه فلا يمكننا ان نجهل او نتجاهل ما يحدث عند جيراننا . فهم يؤثرون فينا ، ونحن نؤثر فيهم . وها ان تاريخنا باجمعه برهان واضح على هذا الامر ، يدلنا ان بلادنا نالت في كل عصر فوائد الطريق ، وتحملت مضارها ، وان جدودنا استفادوا من مركزهم النادر منافع توسطهم بين الامم كما قاسوا مساوئ هذا التوسط . فاستثمر الفينيقيون هذا المركز ، فعقدوا الصلات التجارية واستحدثوا المستعمرات . ولكن المركز نفسه جرّ على احفادهم الغزاة والمكتسحين .

واننا ، في هذه الساعات السوداء التي نحياها اليوم ، ووسط هذه الازمة الآخذة بخناق العالم كله ، نرى من دواعي الاعتبار واساليب التعزية ان نلقي نظرة على جيراننا . فنتحقق اننا اخف الجميع ضنكاً واقلهم مقاساة لهذا الضيق العالمي . واننا لا نعني بقولنا تركية وحدها التي كادت تخنقها ازمة

---

١) اطلب مشرق شباط الماضي ، ص ١١٦-١٢٢

اقتصادية زادتها شدة عقبات سياسية داخلية ، بل تتجاوز ، في هذه النظرة ، تركية الى غيرها من بلاد الشرق الادنى . فترى ان مصر نفسها ، التي طالما مثلوها لنا بلادًا ذات كنوز لا تفنى ، وموارد لا تنضب ، ومستقبل لامع براق ، ترى مصر السعيدة تقاسي اليوم ازمة مالية غاية في الشدة والخطر ، وفضلًا عن ذلك فان المستقبل السياسي فيها لا يبعث الى الاطمئنان .

اما بلادنا فبعيدة عن هذه البلايا . ونحن اذا انتبهنا الى ان الازمة كونية عامة لم تخلص منها منطقة ، رأينا اننا اسعد حظًا من جميع جيراننا في الشرق الادنى ، كما ان فرنسة اسعد حظًا من سائر دول اوربة .

تكلمنا في « مشرق » كانون الثاني من هذه السنة عن الحالة الحاضرة في جزيرة العرب . فيحسن بنا الآن ان نحوّل انظارنا الى الشمال فنبحث في حالة تركية الكمالية . فنرى انها ، على الرغم من البلاغات الرسمية والمعلومات المطمئنة ، تسير الى مستقبل قاتم الالوان . فهي ، فوق تأثرها بالازمة العالمية تأثرًا شديدًا ، تشكو من ثلاث أزمات تتنابها جملة : أزمة مالية ، وازمة دينية ، وازمة انفصالية . اما الازمة المالية فشديدة الخطر حتى انه اذا لم يتوفق اولي السلطة الى حلها قريباً ، لا تبعد ان تجرّ افلاس الحكومة . وسببها ان السلطة انصرفت الى الشؤون السياسية البحتة مدة سنوات متوالية ، دون ان تهتمّ بما دون ذلك من امور الاقتصاد . فخصّت القسم الاعظم من الموازنة بنفقات عسكرية لا فائدة اقتصادية منها ، فلم تنل الزراعة الّا عناية جزئية ، والزراعة مورد تركية الاعظم اذ لا صناعة مهمة في تلك البلاد . وفي الوقت الذي تظهر فيه انقرة عاجزة عن وفاء ديونها للاجانب ، نرى الحكومة الكمالية تمدّ سككاً حديدية غايتها الاولى تسهيل حركات الجيش زمن الحرب ، وتوصي في معامل انسالدو الايطالية على قطع مدفعية بقيمة خمسين مليوناً .

ثم ان اخراج الاقليات غير الاسلامية كان سيئ التأثير على اقتصاديات تركية . لان هذه الاقليات كانت على رأس الحركة التجارية فيها . فلم يعزّ رحيلها في شيء الصناعة التركية ولا التجارة ، على عكس ما قدّره ساسة الكماليين . فلم تتمكن بلادهم من ان تسدّ الثُلم العديدة التي احدثها ذهاب

تجّار الارمن والروم. واجلى مظهر لهذا النقص تراه في موانئ ستامبول وازمير وغيرهما ، فانها تكاد تقفر بينما ترفأ اليه يضيق بما يرسو فيه من البواخر والمراكب.

ولا تزال الاطلال المحروقة والآثار الدائرة تنتشر في انحاء ازمير التي خربتها جيوش الكماليين الظافرة . وقد جرّب فتجني بك تلافي الشرّ قبل استفحاله ، فأسس حزبه المتساهل وغايته ان يخفف قليلاً ما ذاك العداء الجافي لكل ما هو اجنبي ، فيسمح لمن بقي من الاقليات في تركية بحياة تكون اقلّ شقاء مما هي عليه ، ويدل على تعاسة الحالة في تلك البلاد ستاراً قد يلطّف منظر الخطب على ابصار اوربة ، حتى اذا احتاجت تركية الى معونتها المالية لا تبوء بالفشل والخذلان . على انه سرعان ما شعر فتحي بك بان الداء اصبح عضالاً ، فاقلع عن فكرته وحلّ الحزب القليل الذي كان قد جمعه حول برنامجه .

وان الغاء الخلافة ، وما تبعه من الشرائع اللادينية التي رمت الحكومة الكمالية ببعضها صميم الدين الاسلامي ، افقدتا الصبر الطويل الذي اشتهر به الاتراك المؤمنون . فسرى روح التذمّر ، خصوصاً بعد حبوط مساعي فتحي بك في التساهل ، ودُفع الكثير من المسلمين الى المطالبة بحرية الضمير ملتجئين الى الطرق المشروعة ، حتى اذا يئسوا منها ، لجأ مسلمو مُنيمن وولاية أزمير الى الثورة . وان حركتهم هذه كانت اشدّ واوسع مما تظهر في الاخبار والبرقيات الرسمية يدلّنا على ذلك شدّة العقابات وصرامة الانتقامات ، فان انشاء المحاكم العسكرية يدل على شيء اشدّ خطراً من هياج الدراويش . كل هذا ينذر حكومة انقره بأن مسلمي تركية لم يصلوا بعد الى درجة تمكنها من جعلهم ملحدين . ولا تنحصر روح التذمّر والهياج في ولاية ازمير وما جاورها ، بل تتجاوزها الى اكثر الولايات الاناضولية فتنتظر فرصة سانحة للوثوب والثورة . وقد قام مصطفى كمال مؤخراً بجولة في الولايات ، ولا غاية له الّا تسكين الخواطر وتهدئة هذا الهياج المتحفّز للوثوب . وهناك انذار ثانٍ تجلّى بثورات الاكراد ، وهو انذار يهدّد وحدة الجمهورية التركية . فان الثورات المتتابعة تكذّب دائماً البلاغات الرسمية التي تدّعي دائماً ان الثورة الكردية انتهت وان الثوّار الاكراد أبيدوا على بكرة ابيهم . هذه نتيجة السياسة الكمالية العدائية التي تابعتها انقرة مدة

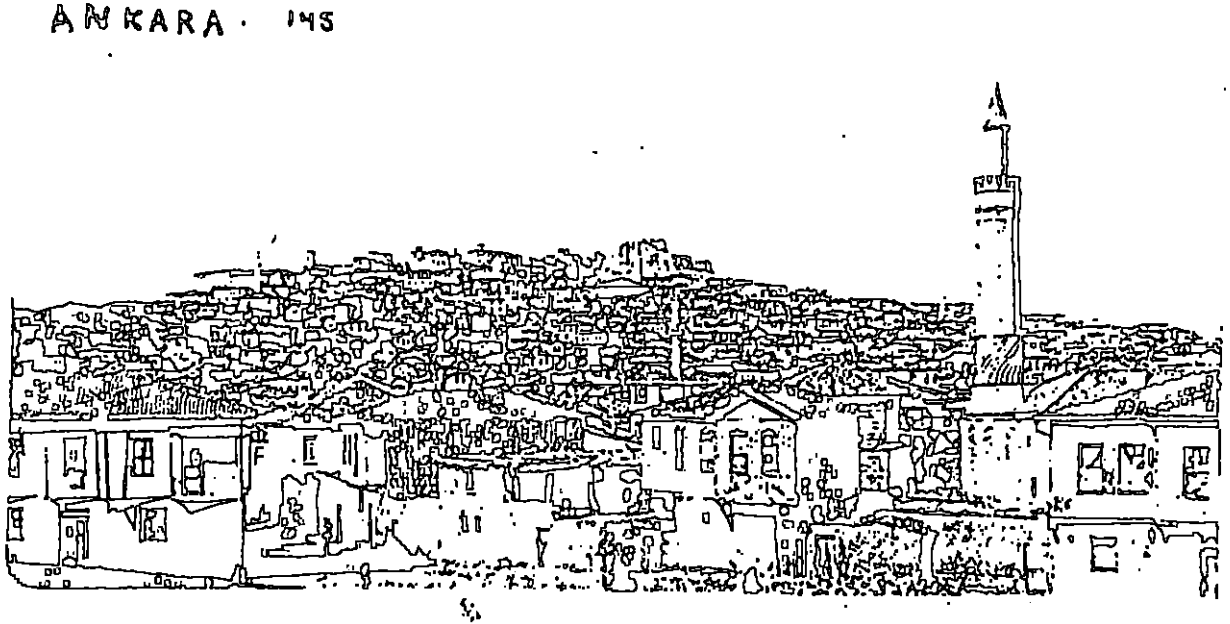

مدينة انقرة الحديثة

سنين ، فالجأت رعاياها الى التذمر فاليأس فالثورة ، ليس ثورة الاكراد الرامين الى الانفصال فحسب ، بل ثورة مسلمي تركية انفسهم .

وفي مصر ايضاً ترداد الازمة الاقتصادية خطورة بأزمة سياسية خانقة احدثها الحزب الوفدي بتشبثه بمبادئه وقعده عن كل تساهل ؛ ولكن حكمة الملك فؤاد وعزمة صدقي باشا ، رئيس الوزراء ، تضمنان ، لحسن حظ تلك البلاد ، على معالجة الداء . وقد حُذف من الدستور المصري الجديد اشدّ المواد خطراً كمسألة التصويت الشعبي العام في بلاد يبلغ عدد الاميين فيها ٩٨ بالمائة . فمن يُعطي حقّ التصويت العامّ لهؤلاء . كمن يُسلم دفّة الحكومة لصبيان لا يرون اين يقصدون . ولنا الامل ان الانتخابات المقبلة تؤيد الحكمة في هذه الاصلاحات .

اما العراق فقد اقرّ برلمانه ، في دورة تشرين الثاني الفائت ، المعاهدة الجديدة التي عُقدت بينه وبين انكلترة . وهو ينتظر السنة ١٩٣٢ ليطلب قبوله في جمعية الامم . فهل ينجح في طلبه ؟ وهل يحقّق الشروط المطلوبة للدخول في تلك الجمعية ؟ وهل هو دولة مستقلة حقيقة ام ان تلك المعاهدة لم تكن الّا واسطة ابدلت بها انكلترة نظام الانتداب على العراق بنظام الحماية ؟ ثم ان جمعية الامم تطلب من العراق ، دون شك ، ضمانات مهمة في مصلحة الاقليات التي لا تتمتّع دائماً في تلك البلاد بالانصاف والتساهل الواجبين . من ذلك ان حكومة العراق بتدخلاتها المزعجة ، تنكد الحياة على المدارس المسيحية ، وتضيّق عليها مجال العيش ، كأنها تريد الغاءها مقتفية ، في ذلك ، اثر حكومة انقرة .

واما فلسطين فان نشر « الكتاب الابيض » اهاج في العالم كله غضب الصهيونيين ، دون ان يرضي الوطنيين . ويخشى هؤلاء من ان تتأثر الحكومة الانكليزية باحتجاجات الصهيونيين ، وضجيج اليهود في العالم اجمع . واننا نرى خوفهم في محله اذا انتبهنا لمسألة الهجرة الصهيونية التي كانت ممنوعة منعاً باتّاً ، ثمّ سُمح بها بشروط . ومهما يكن من الامر في المستقبل فان الوطنيين والصهيونيين يتقاطعون في معاملاتهم ، فيزداد عدد العمّال العاطلين ، فترداد خطورة الازمة الاقتصادية .